

75083 - حكم قتل الأجانب في بلاد المسلمين

السؤال

فضيلة الشيخ ما رأيكم في العمليات التي تحدث في بلاد المسلمين وتستهدف قتل الأجانب ولكنها تؤدي إلى قتل عدد من المسلمين أيضاً وتدمير بعض المباني والمنشآت، وهل هذا من الجهاد كما يقول منفذوها.

الإجابة المفصلة

الجواب:

أولاً:

هذه العمليات التي تحدث في بلاد المسلمين وتستهدف كما ذكرت الأجانب ، ليست جهاداً ، بل هي فساد وإفساد ، وتخريب وتشويه ، وهي دالة على جهل مرتكيها وطبيتهم ، فإن هؤلاء الأجانب مستأمنون في بلاد المسلمين ، لم يدخلوها إلا بإذن ، فلا يجوز الاعتداء عليهم ، لا بالضرب ولا بالنهب ، فضلاً عن القتل ، فدماههم وأموالهم معصومة ، والمتعرض لهم على خطر كبير ، كما روى البخاري (3166) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِخْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنْ رَيَحَهَا ثُوَجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا).

وهذا شامل للذمي والمعاهد والمستأمن.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في "فتح الباري": "وَالْمَرَادُ بِهِ مَنْ لَهُ عَهْدٌ مَعَ الْمُسْلِمِينَ سَوَاءٌ كَانَ بِعَهْدٍ جِزِيَّةً أَوْ هُدْنَةً مِنْ سُلْطَانٍ أَوْ أَمَانَ مِنْ مُسْلِمٍ" انتهى .

وفي قوله رحمه الله: "أو أمان من مسلم" إشارة إلى ما هو معروف عند الفقهاء من أن الأمان لا يشترط أن يكون من الحاكم والسلطان ، بل يجوز أن يكون من رجل من عامة المسلمين ، وهؤلاء الأجانب المشار إليهم يدخلون بلاد المسلمين بأمان من دولة المسلمين أو بأمان من أحد المسلمين ، فلا يجوز التعرض لهم ولو كانوا في الأصل محاربين .

وقد روى البخاري (3171) ومسلم (336) عن أم هاني بنت أبي طالب رضي الله عنها قال: ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجده يغسل وفاطمة ابنته تنسنره فسلمت عليه فقال من هذه قلت أنا أم هاني بنت أبي طالب فقال مرحباً بأم هاني فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات ملتحفاً في ثوب واحد فقلت يا رسول الله زعم ابن أمي علي أنه قاتل رجلاً قد أجرته فلأنه بنت هنية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قد أجرتنا من أجرت يا أم هاني قاتل أم هاني وذلك ضحي).

قال ابن قدامة رحمه الله : " (ومن أعطاهم الأمان منا ; من رجل ، أو امرأة ، أو عبد ، جاز أمانه) وجعلته أن الأمان إذا أعطي أهل الحرب ، حرم قتلهم ومآلهم والتعرض لهم . ويصح من كل مسلم بالغ عاقل مختار ، ذكرها كان أو أنثى ، حرا كان أو عبدا . وبهذا قال الثوري ، والأوزاعي ، والشافعي ، وإسحاق ، وابن القاسم ، وأكثر أهل العلم " انتهى من " المغني " (9/195).

ثانيا :

إذا نقض المستأمن أو المعاهد عهده لم يجز لآحد المسلمين قتله ؛ لما يترتب على ذلك من المفاسد ، وقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم قتل عبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق مخافة أن يقال إن محمدا يقتل أصحابه ، وهكذا ليس لآحد المسلمين قتل من ظهرت ردته وزالت عصمته ؛ للمعنى الذي ذكرنا ، وكم جر هذا من الشر والبلاء على أهل الإسلام ، وكم حصل به من التضييق على الدعوة الإسلامية والدعاة ، وكم استغل المغرضون لتشويه صورة الحق وأهله .

ثالثا :

أما التسبب في قتل المسلمين المعصومين ، فذلك جرم كبير ، وذنب عظيم ؛ فإن (رَوَالْ دُنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ) كما قال صلى الله عليه وسلم . [رواه الترمذى (1395) والنسائى (3987) وابن ماجه (2619) من حديث عبد الله بن عمرو].

وما يدعيه هؤلاء من الاستشهاد بمسألة التترس مردود عليهم ، وهو دال على جهله وظلمهم ، فإننا نمنع قتل الكافر المباح الدم لو كان وحده - لما ذكرنا من المفسدة - فكيف إذا انضاف إلى ذلك قتل غيره من معصومي الدم .

فبان بهذا أن فعل هؤلاء ظلمات بعضها فوق بعض ، وأن من شأها الجهل والعجلة وعدم الرجوع إلى أهل العلم الذين أمرنا بسؤالهم ورد الأمر إليهم ، وقد انتظمت كلمة الثقات الأثبات من أهل العلم على منع هذه العمليات وتجريمها لكونها محمرة من أصلها أو لما يترتب عليها من المفاسد والشرور .

فعلى كل امرئ أن يتقي الله تعالى ، وأن يحذر أشد الحذر من إخفار ذمة المسلم ، وسفك الدم الحرام ، وجلب الشر على أهل الإسلام .

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى .

والله أعلم .